

الفصل الرابع:

التأويل المفصّل

ثانيا: القراءة

مقدمة

I- الواقع الحلم: شبكية اللقاء وشبح الفراق

أ- من يكون الخليل المفارق؟

ب- اللقاء والفراق: حقيقة واقعة أم وهم وأحلام؟

II- واقع الوجود: نظرة إلى الخلف

أ- هي والوجود والفناء

1- الفناء في الوجود الفاني.

2- الفناء في الوجود الذي لا يفنى.

ب- هي والزمن: صراع لا ينتهي.

III- واقع الوجود: محطات ومواقف.

أ- تضرع وتفويض.

ب- قهر وقيّد وقدر المحتوم.

ج- إنسان ومكان وقداسة.

د- هي والنار [ثنائية (الحياة والفناء)].

هـ- هجرة واغتراب وأمل وعودة.

و- وجدتها: الحقيقة التائهة .. أم الحقيقة الجديدة؟

خلاصة الفصل

### مقدمة:

يقوم التأويل هنا على الشاهد/الدليل، والقرينة/المؤشر في تعيين المعاني، فيكون السعي لإثبات حقيقة ما من خلال تكاتف القرائن والشواهد التي تنحصر في دلالة واحدة .

إن التوجه نحو الدلالة المنتهية وغير المتعددة بَيِّنٌ في هذا الإطار، وهو توجه يشكله المؤول الذي يوقف استنباطه عند المستوى الذي ينتهي عنده تداعي المعاني والدلالات الممكنة، لينتهي الوضع عند القراءة بوصفها آلية من آليات التأويل، يجاب فيها عن كل ما نقص بيانه وتعذر تعيينه في الفصل الثالث، رغم أنها قراءة مقيدة بمعنى الناطق<sup>(1)</sup>.

يتربط التحليل والقراءة<sup>(2)</sup> لتشكيل مستويين متوالين من التأويل يمكن تسميته بالمتكامل، لأنه غير متعَيَّن ولا متحقق عند شخص ما.

إن التأويل هنا بعيد، لا يتعين بيسر ولا يظهر بسهولة، بل يستدعي مسح القسم الأول من الخطاب كلاً، ليجيب عن شخصية الحبيب في الفصل الثالث، وتحدّد كل الاعتراضات<sup>(3)</sup> وتُدفع بتعليل منطقي وفق ما تقتضيه نواة الدلالة المتوصل إليها.

كما يعين طبيعة اللقاء والفراق بين الحقيقة والوهم وما يقوم دليلاً عليهما من شواهد وقرائن، والكل ضمن الواقع الحلم المتقلب بين شبكية اللقاء وشبح الفراق. ويليه واقع الوجود بالعودة إلى الوراثة في علاقة الشاعرة بالزمن والشعور بالفناء، ليتعين أخيراً -وداخل هذا الواقع- محطات ومواقف حياتية تتخلل واقعها بين حالي الواقعية والحلم.

إن التأويل في هذا الفصل لا يخرج عن سيمياء الدلالة<sup>(4)</sup> ويجري على مجمل قصائد القسم الأول من الديوان كما سيظهر.

<sup>1</sup> - ينظر: روبرت شولز: السيمياء والتأويل، ص 23-25، في حديثه عن الأنا الكاتبة التي توجب القراءة، وتولد التأويل، من غير تكلف فيه، وبحثاً في ما يسميه بالجوانب المهمة في سيمياء الشعر: الموروث النوعي والمهارة في فرز عناصر النص. تنظر: ص 77 منه.

<sup>2</sup> - ينظر: السابق، ص 109. حيث يتعين تقديم الملامح السيميائية التي تفرض نفسها على المؤول ويتطلبها التأويل في فعل القراءة. ينظر هذا البحث، الفصل الأول، ص 76.

<sup>3</sup> - ينظر هذا البحث الفصل الأول، ص 36 وما بعدها إلى ص 43 في مسألة الاحتمالات والترجيح وآلية التأويل عند القدامى، بما يقوم مقام الاختيار والتهميش في نظرية القراءة الحديثة، ينظر: فولفغانغ إيذر، نظرية جمالية التجاوب، ص 71 إلى ص 96.

<sup>4</sup> - ينظر: محمد عزام: اتجاهات التأويل النقدي من المكتوب.. إلى المكبوت، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ط1، 2008، ص 188 و ص 195 و ص 197 و ص 249 على التوالي عارضاً التوجهات السيميائية في فعل القراءة عند رولاند بارت ويوري لوتمان وغريماس وعند رواد نظرية القراءة والتلقي. والمراد في هذا الفصل هو استكمال الناقص في الفصل الثالث على نحو ما يراه امبرتو إيكو في التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ص 23. وبول ريكور في نظرية التأويل، ص 45، وليس قراءة قائمة بذاتها تتعدى ما تمّ التوصل إليه.

I - الواقع الحلم: شبقية اللقاء وشبح الفراق:

أ- من يكون الخليل المفارق؟

يبدو أنّ الشاعرة عاشت لقاءً وفراقًا وانكسارًا، فمع مَنْ كان اللقاء؟ وكيف حدث الفراق؟ لتعيش بعده المأساة؟

إن الصورة التي يحملها هذا النص/الخطاب هي صورة في الأجزاء الأربعة الأولى، غير أنّها لم تحترم هذا التسلسل في عرضها كما أوردته الشاعرة في قصيدة ((من الأعماق)).

1. تصر الشاعرة على التعمية والتعتيم، ولا تريد أن يتعرف الآخرون عن اسمه، وتعلن ذلك أمام الملاء في قولها:

- (هكذا وليظل حبي سرًّا

غامضًا،

إن للغموض لسحرا)<sup>(1)</sup>

2. ويفلت منها أن تصفه بالشاعر وشاعرها في عدة مواضع:

- (شاعري، لا تقس في عتبك لا تظلم وفائي)<sup>(2)</sup>

- (إنها يا شاعري أنات مظلوم طريد)<sup>(3)</sup>

- (نما أمل العمر يا شاعري تغذيه لهفتي الحارقة)<sup>(4)</sup>

- (الكون لي ولك

لنا لشاعرين

رغم المدى القصي

ضمهما وجود!!)<sup>(5)</sup>

- (فما كنت أعلم يا شاعري

بأن يد القدر الجانيه  
تلوح لي برؤى المستحيل)<sup>(6)</sup>

<sup>1</sup> - الديوان، إلى صورة، ص 77. ونحوه قولها: (لا، لا تسلني، لن أبوح به سيظل حبك سر أغواري)، الديوان، القصيدة الأولى، ص 332- وفيها أيضا ص334: (لا، لا تسلني، لن أبوح به سيظل حبك سر أسراري). وتصر على التعتيم في قولها: (واخجلي لو أنهم يعلمون ما أنت أو من تكون؟)، الديوان، ندم، ص 233.

<sup>2</sup> - الديوان، الصدى الباكي، ص 78.

<sup>3</sup> - الديوان، الصدى الباكي، ص 80.

<sup>4</sup> - الديوان، قصة موعد، ص 87، وفي ص 89: (وكان الغد الحلو يا شاعري تنسمت في جوه الناظر).

<sup>5</sup> - الديوان، وجود، ص 109.

<sup>6</sup> - الديوان، قصة موعد، ص 91.

- (سل ضمير الليل، هل أودعته أسرار حبي  
هل تغيت بأشعارك في وحدة قلبي)<sup>(1)</sup>
- (شعرك العاتب كم فجّر دمعي كم شجاني)<sup>(2)</sup>
- (أتذكر إذا أنت ترسل شعرك)<sup>(3)</sup>
- (رجعت ترنو إلى وجه فتاها الشاعر)<sup>(4)</sup>
3. وتصفه بالطير<sup>(5)</sup>:
- (أين الغناء العذب يا طائري تسبق فيه كل شاد طروب)<sup>(6)</sup>
- (واعجبي صمتك هذا رهيب يا طائري ضمن معنى الحذر)<sup>(7)</sup>
- (أغضيت عن روضك دهرًا طويل يا طائري، معرئ بحلم كذوب)<sup>(8)</sup>
- (انفض جناحك من الرقدة يا طائري، اخشى عليك المصير)<sup>(9)</sup>
4. ثم تعينه أخًا من إخوتها:
- (أخ كان نبع حنان وحُب وكان الضياء لعيني وقلبي)<sup>(10)</sup>
- (أخي، يا أحبّ نداء يرف)<sup>(11)</sup>
- (أخي، لك نجواي مهما ارتطمت  
بقيد المكان وقيد الزمان)<sup>(12)</sup>
- (أخي رأيت القضية كيف  
انتهت، رأيت المصير الرهيب)<sup>(13)</sup>

1 - الديوان، الصدى الباكي، ص 79، وقبل ذلك في ص 129 من قصيدة (الروض المستباح) قولها: وما الذي في قلبك الشاعر قل لي فإن البث يشفي القلوب، ما يؤكد أن من تقصده شاعر.

2 - الديوان، الصدى الباكي، ص 79.

3 - الديوان، حلم الذكرى، ص 172.

4 - الديوان، هو وهي، ص 282. وفي نفس القصيدة ص 291 قولها:

(لقد جمع الشعر ما بيننا

... فإنا ليل عيشي معي قاسميني

حياتي، فنحن هنا توأمان).

5 - وصفت السجين بقولها [قصيدة إلى المغرد السجين]:

(يا طائري السجين فاصدح لنا)، الديوان، ص 321. وفيها ص 324: (يا طائري، هناك درب الرجاء). وفي ص 322 من نفس القصيدة: (ارجعني شذوك يا طائري..). وقد عينته وهو الشاعر كمال ناصر سجين فلسطيني، وهو بذلك ملفوظ لا يعني من تحاول إخفاء اسمه.

6 - الديوان، الروض المستباح، ص 129.

7 - الديوان، الروض المستباح، ص 131.

8 - الديوان، الروض المستباح، ص 132.

9 - الديوان، الروض المستباح، ص 132.

10 - الديوان، حياة، ص 49.

11 - الديوان، حلم الذكرى، ص 166.

12 - الديوان، حلم الذكرى، ص 166.

13 - الديوان، حلم الذكرى، ص 172.

5. وليس لها منه غير زاد تحدده ب:

- (وكنت مع الآخرين وحيدته

...وزادي منك كتاب وصورة

تنام بصدري

وزادي منك زجاجة عطر)<sup>(1)</sup>

6. ولذلك تستشعر روحه:

(ومن عجب أنني لا أراك ولكن أحسك روحا هفا

يحنُّ إلي ويحنو علي وينساب حولي هنا وهنا)<sup>(2)</sup>

7. ويزورها طيفة يؤانسها في وحدتها:

- (في الليل إذ تهبط روح الظلام

مرسلة فيه الرؤى الهائمة يطيف بي في يقظتي الحالمة

طيف ولكن ماله شكل

يحضنه جفني، ولا ظل

وإنما بحسي الملهم

أعيه شيئاً ملغزاً مبهم)<sup>(3)</sup>

- (وها أنا يا ليل ها أنا جئت

- كيانا تجسد، وروحا حضر)<sup>(4)</sup>

- (وهب كنت طيفا تعشقتة

- فكيف تلاشى الهوى واندثر)<sup>(5)</sup>

8. يحمل الملفوظ معنى الفقدان؛ لأن الشاعرة (المخاطبة) تصرف ملفوظاتها إلى شخص فقدَ الحياة

وأفقدتها موته حياتها وتوازنها:

- (بليل الشجون

1 - الديوان، نشك بحبي، ص 218.

2 - الديوان، سمو، ص 82.

3 - الديوان، وأنا وحدي مع الليل، ص 105.

4 - الديوان، هو وهي، ص 267. والكلام على لسانه، وليل: ليلي

5 - الديوان، نسيان، ص 320.

وعمق السكون

تمر أمامي كحلم سرى

طيوف أحبائي تحت الثرى

فترعج ناري خلف الرماد

ويغرق سيل الدموع وسادي

دموع الحنين

إلى راحلين

مضوا وطواهم ظلام اللحود<sup>(1)</sup>

- (ويبدو خيال

بغفو الليالي

خيال أبي شقّ حجب الغيوب<sup>(2)</sup>

- (وفي ليل شهدي

يحرك وجدي

أخ كان نبع حنان وحب

(...) وهبّت رياح الردى العاتية

وأطفأت الشعلة الغالية<sup>(3)</sup>

- (وأسفر وجه الردى

بعين له جامده

(...) ولن تحتويني يداك حتى أكون معه<sup>(4)</sup>

- (أحقا يحول الردى بيننا

(...) فما لي إذا ما ذكرتك أشعر

إنك حولي بكل مكان<sup>(5)</sup>

1 - الديوان، حياة، ص 47.

2 - الديوان، حياة، ص 48.

3 - الديوان، حياة، ص 49.

4 - الديوان، حتى أكون معه، ص 213. هي الرغبة التي نذرت حياتها لأجلها، ولن تتحقق إلا إذا تخلصت من قيود الردى، وتكون معه في عالمه لافي عالمها.

5 - الديوان، حلم الذكرى، 166-167. هو معها تستشعر وجوده في كل مكان تحل فيه، وتستفهم إن كان الردى قد أخذه منها وباعد بينهما.

9. ويتأكد ذلك من تساؤلها المملوء بالأشواق والتضرع:

- (لم لا يعود؟... لم لا تعود)<sup>(1)</sup>

- (فيا أيها الروح ما أنت؟ قل لي، أنت من الله روح الرضى؟

وهل أنت ظل الأمان الظليل دنا لي من سدرة المنتهى؟)<sup>(2)</sup>

10. وتُعَيِّن أخيراً أحاسيس الشاعر الذي أحبته، وأفنت حياتها في حبه والعيش معه طيفا وروحا

وذكرى:

- (أيها الهاتف من خلف الغيوب

ما ترى نبع حياتي في نضوب؟

(... أين إبراهيم مني، أين أين؟!)

حبة القلب ونور الناظرين

أنا من عيش وموت بين بين)<sup>(3)</sup>

- (وعاد من غربته أخي الكبير عاد.

إبراهيم...)

وفيض حبه غزير

ولفني أخي وضمني إلى جناحه

هنا استقيت الحب وارتويت)<sup>(4)</sup>

- (ومات من أحبني

مات أخي الذي أحبني، ولم يكن

هناك من أحبني سواه)<sup>(5)</sup>

11. بهذا الجزم الإخباري يتحقق اجتماع الأخ والحبيب في شخص إبراهيم طوقان، ومن ذات

الخطاب كما سيأتي<sup>(6)</sup> فيتعين فهم ملفوظات الحب بصرفها إلى أخيها، فهو:

1 - الديوان، في محراب الأشواق، ص 86.

2 - الديوان، سمو، ص 72.

3 - الديوان، على القبر، ص 127 - 128. تهدي الشاعر قصيدتها هذه لأخيها إبراهيم طوقان، مما يقوى الترجيح ويسند الاحتمال في التأويل، وفي أول الديوان إهداء عام بصرف الانفعال الشعري لإبراهيم، غير أنه لا يعينه بالمعنى المصروف إليه، فقد يهدي شخص عملا ما لحبيب أو قريب أو زميل، وليس يلحقه من ذلك العمل قصد لذاته غير تبجيله ورفع شأنه وتمييزه عن الآخرين.

4 - الديوان، تاريخ كلمة، ص 454.

5 - الديوان، تاريخ كلمة، ص 454.

6 - الخطاب هنا يعني قصائد الديوان.

- (الهُوى):

- أنا لم أنس هوى فجر ألحاني وشعري  
أنا لم أنس هوى رفت به أيام عمري<sup>(1)</sup>

- (يا ربة الحب

مُدِّي على الدرب بساط حرير  
وجدولا من عبير

يحمل من أهوى إلى دارنا)<sup>(2)</sup>

- (والهوى كان ليعطينا الرضى والبسمات

(...)) الهوى كان لنبي ونعطي

خير ما فينا

لا ليفيننا)<sup>(3)</sup>

- (أترك تذكرها هناك

إنسانة منحت هواك

أغلى هبات الحب؛ الروح المضيئة والشعور)<sup>(4)</sup>

- (ونلقي السلاح وتمضي يدانا

تلف هوانا

بحب وعطف تلف هوانا

ونفنى رضى ونذوب حنانا)<sup>(5)</sup>

و (الفتنة / الافتتان) :

- (وكنت لي يا فتني الكبرى قصيدة كبرى)<sup>(6)</sup>

- (ويومها يا فتني، يومها

لم تقل الكثير، لكنما

1 - الديوان، الصدى الباكي، ص 78.

2 - الديوان، يزورنا، ص 345.

3 - الديوان، القصيدة الأخيرة، ص 404.

4 - الديوان، عد من هناك، ص 363.

5 - الديوان، الانفصال، ص 189.

6 - الديوان، يوم الثلوج، ص 349.

كان لنا كل انفعال الحياة<sup>(1)</sup>

وتصفه بـ(الحب) / (الحبيب) / (الهوى):

- (وهذي المرارة

بقلبي ترسو؛ بأعماق قلبي

تحدثني عن هزيمة حبي

وتحكي انكساره<sup>(2)</sup>

- (من الانتصار

سكرنا معا بحلاواته

من الانكسار

غصصنا معا بمرارته

من الرأي إذ نلتقي عنده يا حبيبي

من الفكرة الواحدة<sup>(3)</sup>

- (فكيف الفرار حبيبي وأينا

ونحن ندور ونجري ونهرب

منا إيلينا<sup>(4)</sup>

- (سدى ومحال

سدى لا انعتاق لنا لا انفصال

محال حبيبي محال<sup>(5)</sup>

- (كلما ناديتني جئت إليك

بكنوزي كلها ملك يديك

بينايي، بأثماري، بحضني

يا حبيبي<sup>(6)</sup>

- (حبيبي بما بيننا من عهود

1 - الديوان، يوم الثلوج، ص 349 - 350.

2 - الديوان، هزيمة، ص 389 - 390.

3 - الديوان، الانفصال، ص 187.

4 - الديوان، الانفصال، ص 189.

5 - الديوان، الانفصال، ص 189. فالفرار والانفصال فراق، وسعيها قائم على الارتباط، دون انعتاق ولا انفصال.

6 - الديوان، كلما ناديتني، ص 209 - 210.

بضحكة عينيك

إذا أنا ضقت بأغلال حبي

وثرث عليها وثرث عليك

فلا تعطني أنت حرיתי

فقلبي قلب امرأة

من الشرق... يعشق حتى الفناء

ويؤمن في حبه بالقيود<sup>(1)</sup>

- (أنا يا شاعر لي في وطني

وطني الغالي حبيب ينتظر

إنه ابن بلادي لن أضيّع

قلبه

إنه ابن بلادي لن أبيع

حبه

بكنوز الأرض

بالأنجم زهرا

بالقمر<sup>(2)</sup>

- (مشاهد حين استراحت عليها

عيون الحبيين عبر الضياء

بدت لهما صورة لتفتح

نفسيهما للهوى والهناء<sup>(3)</sup>

لقد تباعدا وتاها واتحدا معا في ملفوظ واحد:

- (المدى أقصاهما جسمين لا يلتقيان

والهوى ضمهما روحين في كل مكان<sup>(4)</sup>)

- (يا حبيبي تراك تغفر لي حبا بريئا

<sup>1</sup> - الديوان، القيود الغالية، ص 217.

<sup>2</sup> - الديوان، لن أبيع حبه، ص 240. الشاعر هو الشاعر الإيطالي سلفادور كوازيمودو salvatore Quasimodo؛ وليس إبراهيم كما كان في سابق الخطاب.

<sup>3</sup> - الديوان، هو وهي، ص 282. وقد اجتمع فيها لفظا الحبيب والهوى.

<sup>4</sup> - الديوان، هو وهي، ص 279.

ثوى رفاتا ورائي

(...) حُبنا الحبُّ، كل حب سواه

كان وهما يطوف في قلبينا<sup>(1)</sup>

- (أحقا أحبتك يوما؟ وكيف؟

أم كنت طيفا بحلم عبر)<sup>(2)</sup>

- (وفي منتهى حنقي يا حبيبي

(...) أسعى لديوان شعري

فأنزعه من يديك

(...) وتضحك من حنقي يا حبيبي

(...) تؤكد لي أن أجمل شعري

وألطف شعري تلك القصيدة

(...) ألا ليتني يا هوائي الحبيب

عرفتك من قبل تلك القصيدة)<sup>(3)</sup>

- (انتهينا يا رفيقي

حبنا كان استغاثات غريق بغريق)<sup>(4)</sup>

ورغم تعين هذا المعنى، فإنه لا يسلم من الاعتراض.

- الاعتراض:

إن المشكل يقع بين نعمة التعتيم ثم التدرج إلى البوح؛ ذلك أن سرها الغامض صار في نهاية المطاف علنا، وتحوّل فيه الحبيب من حبيب خليل إلى أخ قريب هو كالنفس أو أكثر، وقد تَعَيَّن ذلك من الشواهد والقرائن النصية، التي لولاها لاعتقد المخاطب أن الحديث مصروف إلى شخصين أحدهما حبيب مُبجل والثاني أخ مرثى، ولا ارتباط بينهما ولا بين العاطفة نحوهما.

غير أن القول بتعدي الحبيب إلى الأخ وأنهما عندهما واحد لا يتعدد يعترضه من ملفوظاتها

قولان:

<sup>1</sup> - الديوان، هو وهي، ص 302.

<sup>2</sup> - الديوان، نسيان، ص 319.

<sup>3</sup> - الديوان، تلك القصيدة، ص 354 - 355.

<sup>4</sup> - الديوان، القصيدة الأخيرة، ص 404.

الأول:

(وعاد من غربته أخي الكبير عاد .

إبراهيم...)

وفيض حبه غزير

ولفني أخي وضمني إلى جناحيه

هنا استقيت الحب وارتويت<sup>(1)</sup>

فكيف تكون عودته وقد فارق الحياة ؟ وهو ما يحتمل وجهين:

- الوجه الأول: أن عودته كانت قبل وفاته على الحقيقة، ثم بعدها حدثت وفاته ولذلك

جاء بناء الخطاب (تاريخ كلمة) على هذا الترتيب، فقولها:

هنا استردت ذاتي التي تحطمت

بأيدي الآخرين

بناءها، هنا اكتشفت من أنا

عرفت معنى أن أكون<sup>(2)</sup>

مقدمة سبقت وفاة إبراهيم، وإنما تحطمت ذاتها على هذا، بوقع فراقه لها وللعائلة، فهو فراق على الحقيقة قبل الفناء الحقيقي، والآخرون هم الناس الذين توقعوا أن يفارقهم ويفارقها إلى الأبد، ولذلك كانت عودته إلى الدار بفعل المرض الذي ألمَّ به، مصدر غبطة لها، ولكنه لم يطل ولم تنأ به حتى حدث الفراق الذي لا رجعة بعده، وهو محمول قولها:

(مات من أحبني)

مات أخي الذي أحبني ولم يكن

هناك من أحبني سواه<sup>(3)</sup>

فأثبتت الفراق، كما أثبتت صرف حبها له وحبها لها، ولا حب عندها غير ما جمعتهما معا.

<sup>1</sup> - الديوان، تاريخ كلمة، ص 454.

<sup>2</sup> - الديوان، تاريخ كلمة، ص 454.

<sup>3</sup> - الديوان، تاريخ كلمة، ص 454.

- الوجه الثاني: يحتمل أن تكون عودته بعد وفاته حلماً أو تخيلاً، أو طيفاً يلازمها، فكان الإخبار عن حالها وهي تراه في حلمها أو تتخيل وجوده، حتى إذا ما أفاقت من غفوتها صدمتها لوعة الخطب... فأنى له أن يعود؟ وأنى لها أن تلقاه؟

ويكون تحطم ذاتها بأيدي الآخرين محمولاً على اعتقاد الرائي أن العودة محت أثر الفراق، ولم يعد للفاجعة وقع وكأنها لم تحدث، وأن الأبدية الملازمة للفراق والتي غالباً ما تلف كلام الموسمين (الآخرين)، قد انتفت بدليل شفاء نفسها والتئام جرحها بعودته، ويلزم من هذا الكلام أن ((التحطم)) واقع، وما بعده حلم وتخيّل، وحديث الفراق بعد كل ذلك حقيقة واقعة، ليمتزج في حياتها الواقع بالخيال.

والوجهان قويان وآخرهما أظهر عندي كما سيأتي مع طبيعة اللقاء والفراق<sup>(1)</sup>.

وأما القول الثاني: (تسألني عنك رفيقاتي

عن اسمك الغالي الذي أخفي

وراء أبياتي)<sup>(2)</sup>

إذ تقر بالإخفاء وتسرُّ به . الاسم . لنفسها دون رفيقاتها والآخرين، وتتعمد نعمة التعظيم، ولكنها أخبرت على امتداد أربعة أجزاء من ديوانها بكثير من التفرق الذي لا يصلحه إلا جمع الملفوظات ليتم العلم بأنها تعني أحاها إبراهيم ولا أحد سواه، غير أن ما تلا هذا القول هو الذي عقَّد الاعتراض:

(أقول؟

لا أقول،

لي وحدي

اسمك لي.

يا كلمة...

تجاور اسم الله في قلبي)<sup>(3)</sup>

<sup>1</sup> - ينظر هذا البحث، ص 231.

<sup>2</sup> - الديوان، اسمك، ص 360.

<sup>3</sup> - الديوان، اسمك، ص 361.

يبدو أنها باحت باسمه لغزا، ليبقى إدراكه غامضا، أو يكتنفه بعض الغموض والشك؛ لأن الملفوظ يحتمل وجوها ثلاثة:

**الأول:** يحتمل أن تكون الكلمة التي تجاور اسم الله في قلبها هي المسيح عليه السلام بدليل لفظ ((كلمة))؛ فهو كلمة الله ألقاها إلى مريم. وعلى هذا الأساس، يكون الملفوظ مصروفا إليه حبا له وفيه، وهو الذي بحبه تنجو الأرواح وتنعتق النفوس كما في الديانة المسيحية. ويتعين على هذا الاحتمال أن ما صُرف لإبراهيم شقُّ وما حمله هذا الملفوظ شقُّ آخر، يقوم العزل بين أول الملفوظ وآخره دليلا، ويقوي شأنه قولها:

**أقول؟**

**لا أقول،... لي وحدي اسمك لي.**

وهذا يخص أحاها، وما بعده يخص المسيح عليه السلام، وكأنه عهد قطعته على نفسها وتُشهدُ المسيح عليه، فبإيمانها بالله وبالمسيح لن تبوح باسمه علانيةً، ولها على ذلك تبرير وجيه؛ فكلامها عنه لا يكون إلا من حبيب لحبيب، وهي لا تريد حبيبا على عُرفِ الناس ومعرفتهم، إنما تريد أبا حبيبا على طريقتها التي جعلت رفيقاتها يسألنها عنه، وهن يعلمن مصابحا في أخيها إبراهيم، ثم في أبيها وأخيها نمر، فمن يكون هذا الذي استقطب فكرها ووجهها إليه كليةً؟. وليس معقولا أن يقتنع من سمع حديثها عنه أن يكون أخوها هو حبيبا!..

**الثاني:** يحتمل أن يكون ما يجاور اسم الله في قلبها هو الوطن، وكأنها صرفت حبا لأخيها في قالب حبا لوطنها، وكلاهما مفقود عندها، وقد صار بإمكانها أن تجعله في محل كالذي وضعته فيه، ففيه كان أخوها يشغل حيز حياتها وما يزال، وهو - بوصفه مكانا- شاهد على حبا له، وعارف بما تكنه له، وكأنها تقول: **أليس كذلك يا كلمة [يا وطننا] تجاور اسم الله في قلبي** وهي تعلم يقينا أن الله يعلم ما في نفسها وما تحمله لأخيها من حب في حياته ومماته. فيبدو الوضع إشهادًا على ما سبق، وعلى نعمة الإسرار والتعظيم.

**الثالث:** يحتمل أن يكون المقصود بالملفوظ (كلمة) إبراهيم عينا، ليكون حبا لله ثم حبا لأخيها حبا من غير غاية، وحبا لذاته، لا يرجى من بعده جزاء؛ فجعلت لذلك القلب مستقرا لهذا الشعور الذي يحمل طبيعة الاعتقاد، ويشهد لهذا قولها:

(وأنت بأعماق روعي صلاة يسبح باسمك روعي الأمين)<sup>(1)</sup>

تقوم هذه الاحتمالات على الفصل بين أول الملفوظ وآخره، وأوله إمساك عن الإخبار والإعلان، إذ هو احتفاظ به للذات، وآخره إظهار وإقرار ووعد يحمل صفة القداسة لربطه بما يكُنُّه العبد لخالقه. وإن لم يكن للفصل بالنقطة دور في تصور المعنى، يحتمل أن يكون المقصود هو إبراهيم حصرا، وإنما رفعته إلى هذه المكانة على سبيل الإلحاق لا الأصالة؛ فالتأصل عندها حب الله أولا، وما بعده حادث في نفسها وقلبها، وقد كان أن لا يكون أصلا، لو لم يكن له وجود، ووجوده في الكون حادث وفقدانه حادث.

وبرفع الاعتراض يجوز التساؤل: كيف يحدث اللقاء والفراق بينهما، وكل واحد منهما من عالم غريب عن الآخر؟ وما طبيعتهما وعلاقتهما بالواقع؟ أهما على الحقيقة؟ أم هما على مدارج الحلم والأمل؟

**ب- اللقاء والفراق: حقيقة واقعة أم وهم وأحلام؟**

لم يحدث اللقاء والفراق بينهما. الشاعرة وأخيها. إلا وهما أو حلما، ورغم علمها بعدم رجوع الفاني إلا أنها عاشت على حلم رؤاه من الجزء الأول إلى آخر الجزء الرابع. وتبدأ معاناتها بتساؤل غريب:

(مضيت؟ إلى أين؟ هلا تعود إلي، إلى روعي اللائب

(... مضيت؟ وكيف؟ ألا رجعة ترد إلى القلب دنيا رؤاه)<sup>(2)</sup>

(... مضيت؟ فيا لحنيني إليك وواها لأمسي القريب البعيد)<sup>(3)</sup>

تثبت في تساؤلها المضي بمعنى الفراق، ولا عودة بعده، كما تثبت تجدد أساها رغم بعد رحيله وقرب إحساسها به وتجده عندها يجرها إلى اللقاء حين تقول:

(ويفاجئني وقع خطو بعيد ورائي، أصغي إليه طويلا

ويهتف قلبي: " هذي خطاه أرى في صداها عليه دليلا

(... وأغرق في حلم ساحر أحال حياتي فنا جميلا)<sup>(4)</sup>

فكان حلمها ساحرا للقائها فيه ف:

1 - الديوان، غب النوى، ص 72.

2 - الديوان، غب النوى، ص 69.

3 - الديوان، غب النوى، ص 70.

4 - الديوان، غب النوى، ص 70. (يفاجئني) مرسومة خطأ هكذا في الديوان.

- (فاض الوجود شعورا وشعرا وذاب من الوجد حتى الحجر)<sup>(1)</sup>

وينتهي السحر بفراقه لها ومضيه عنها:

(مضيت، إلى أين؟ هلا تعود)

لروحي اللهيف، لقلبي الغريب)<sup>(2)</sup>

وترجو عودته ورجوعه، وتعلم مستقره وبُعدده، وتعلم أنه سراب ووهم لا يتجاوز حيز الحلم:

(ويالك وهم سراب تألق في قفر عمري لقلبي الشريد

حنانك عد كيف أحيا الحياة، وأنت هناك بعيد بعيد)<sup>(3)</sup>

وهكذا فكل قصيدة من قصائد الأجزاء الأربعة الأولى إلا بعضها صورة لـ (غيب النوى) تتكرر فيها صورة اللقاء والفراق، وأنها وهم وحلم، وأمل في لقاء حالم لا يربطه بالواقع أي رابط، ويشهد لذلك من شعرها ما يلي:

- (فإذا الليل سفّ منه الجناح

عبر آفاق عالم مسحور<sup>(٤)</sup>

عالم الحلم، مسبح اللاشعور

فاسبقي أنت كل حلم إليه

واستقري هناك في جفنيه

عانقي روحه، ورقّي عليه

<sup>(٥)</sup> حدثيه عن صبوتي، عن جنوني

حدثيه.. حتى يلوح الصباح)<sup>(4)</sup>

- (ونفسي سكرى بحلم اللقاء تشعشع من فرح باللقاء)<sup>(5)</sup>

- (فيا لخيلات حرمانيه!

ويا لخرافة ميعاديه!

فما كنت أعلم يا شاعري بأن يد القدر الجانية

1 - الديوان، غيب النوى، ص 72.

2 - الديوان، غيب النوى، ص 72.

3 - الديوان، غيب النوى، ص 73.

4 - الديوان، إلى صورة، ص 76.

5 - الديوان، قصة موعد، ص 89.

تلوح لي برؤى المستحيل

وتصنع منهن حلمي الجميل<sup>(1)</sup>

- (هنا انتهت قصة الموعد ولا شيء من أمني في يدي

سوى غصص اليقظة القاسية <sup>(2)</sup> تبدد أحلام أشواقيه

- (تفلت بين انعتاق الرؤى

خيالك في غفوة من شعوري)<sup>(3)</sup>

- (أنا وحنيني البعيد إليك

ورائحة الليل والذكريات

(...) وغيوبة، وانتقال بعيد

وراء القفار

وعبر الصحاري

وكان اللقاء الغريب السعيد)<sup>(4)</sup>

- (هكذا كلما ألح عليك الشوق

عد للماضي، وعش في الذكرى

و أحيي أيامنا ونحن على النهر

ونيسان ضاحك في الضفاف

راقص الظل رائع الأطياف

وانتظرنِي، غدا سيجمعنا الحب

شتيتين في حماه استقرا)<sup>(5)</sup>

- (... وجمعتنا الصالة المحتشدة

وحسب الآخرون

لقاءنا محض صدفة

1 - الديوان، قصة موعد، ص 90 - 91.

2 - الديوان، قصة موعد، ص 92.

3 - الديوان، حلم الذكرى، ص 168.

4 - الديوان، ذكريات، ص 178.

5 - الديوان، وانتظرنِي، ص 185.

دخلتها في غفوة حلوة

من غفوات الزمان..<sup>(1)</sup>

- (عيناى مغمضتان ترف بعمقهما روجي وتسري

تنزاح أمامي الآن الحدود

تنهار سدود

أسمع، أبصر ما ليس يرى)<sup>(2)</sup>

- (ماذا ؟

الحلم تفلت من عينيّ، هنا عادت حولي

الغرفة تقبع والجدران هنا وفراغ منظور)<sup>(3)</sup>

تؤدي الملفوظات: غفوه، نوم، حلم، البعد، الليل، الذكريات، الانتقال البعيد،

القفار، الصحاري، اللقاء الغريب !؟ السعيد !؟. في الشواهد السالفة دور المؤشر أو

القرينة على أن الحادث لا يعدو أن يكون إلا حلما.

يتم اللقاء وتستلذ به، ثم يحدث التناهي والفراق وينتهي الحلم.. !؟ وتناجيه وتذكره

بلقاء مميز في زمن مميز، كانت قد رآته حلما قبل اللقاء:

- (لقاؤنا ودرينا الأرحب

... لقاؤنا إذ تسبق الموعد)<sup>(4)</sup>

- (درينا المسحور يمتد

(... كنت أرى مثله بأحلامي

قبل اللقاء

وهما جميل...)<sup>(5)</sup>

وتعيش الأمانى العذاب ليلا لتصبح النشوى تغلف يومها الجديد:

- (كلما صوتك نادى من بعيد

1 - الديوان، هل كان صدفة، ص 190.

2 - الديوان، في الكون المسحور، ص 197.

3 - الديوان، في الكون المسحور، ص 200 - 201.

4 - الديوان، هل تذكر، ص 202.

5 - الديوان، هل تذكر، ص 204. كذا في الديوان، كسرا للقاعدة النحوية القاضية بنصب "جميل" بوصفه صفة لموصوف منصوب.

(١٠٠) والأمانى فرشت لي مرقدا

من عبير وبدا

لي فجرٌ هلّ رطبا مسعدا

ناعم الأنفاس مفتر الضياء

لَقْنَا حلما على مهد لقاء

واحتوانا فيه دفنا وندى<sup>(1)</sup>

ولا يحلو لها العيش إلا إذا عاشت معه ليلا على وقع حلم جميل:

- (فإني على موعد

ولن، لن ألبى النداء

نداء انتفاض الحياة ----- [النهار] [النهوض]

نداء جمال الوجود حتى أكون معه ----- [غاية]

وإن كنت لوحدي هنا

بأمسية باردة

و قد حال ما بيننا [وقد حال ما بيننا الردى]

مدى، بل ألف مدى...<sup>(2)</sup>

واللقاء هنا لقاء بالتذكر، بالعودة إلى الوراء نحو الماضي، والحديث لمُعِين غير حاضر

هو إبراهيم.

ولا تتوانى أن تحكي أحلامها كما تراها، لقاء وأطياف وسعادة وفراق وألم وحسرة:

- (وكان يوم، كان صبح رطب

تفتحت عينيّ على ضوئه

وخلف أجفاني حلم قريب:

وجه أليف ومكان غريب

تفتحت روحي في فيئه

وثلج قلبي ذاب من دفئه<sup>(1)</sup>

<sup>1</sup> - الديوان، كلما ناديتني، ص 208 - 209 .

<sup>2</sup> - الديوان، حتى أكون معه، ص 212 - 213. ما بين المعقوفين [ ] إضافة مني تعيينا للمعنى.

- (مع الليل قمت ألملم أطياف  
حلم هنيء تفيأ هدي  
خشيت إذا الصبح مر عليها  
تُفّر مع الصبح في كل درب)<sup>(2)</sup>  
- (هناك سجت طيوف الغوالي  
ونمت وتحت وسادي قصيدة)<sup>(3)</sup>  
- (وسرحت أرنو في الفراغ  
سرحت في اللاشيء أحلم  
حلما بلا لون لم أفهمه  
حلما كان مبهم  
أنا راحل

ومضى يردد لها فراغ الكون حولي...)<sup>(4)</sup>  
- (مر عامان وما زال الهوى حلما غريب  
يصل اثنين على نأي حبيبا بحبيب)<sup>(5)</sup>  
- (في رؤى حلمها رفت غلالات صباح لؤلؤي  
طفقا بالظن والوهم يعبان رحيقه)<sup>(6)</sup>

لقد تكرر عندها اللقاء معه، حتى صار كل أمس زمنا لرؤياه، وهو مفقود من جملة المفقودين في حياتها التي تعج بالنقص والشعور بالفقدان:

- (لقتك أمس، ولكن عيني  
أنكرتاك، فلم تعرفاك)<sup>(7)</sup>  
- (وقد ضاع وجهك بين زحام .  
الوجود بأفق حياتي المليئة)<sup>(1)</sup>

1 - الديوان، أنا والسر الضائع، ص 229. وهذا احتمال، والاحتمال الآخر أن يكون السر شيئا آخر غير إبراهيم.

2 - الديوان، الأطياف السجينة، ص 241.

3 - الديوان، الأطياف السجينة، ص 244.

4 - الديوان، أنا راحل، ص 255. كذا مبهم بدل مبهما !

5 - الديوان هو وهي، ص 279، هو إبراهيم تأويلا. ولفظ غريب بدل غريبا إنشاء من الشاعرة !

6 - الديوان، هو وهي، ص 277 - 278.

7 - الديوان، نسيان، ص 318.

وتتحول الرغبة هاجسا، تعيشه في ليلها ونهارها، وتقترن كلمة الحب التي ألفتها نفوس الناس معرفة مجردة بالتجربة المعيشة عندها، فتجعل من بعض ليلها الموحش الطويل زمنا للألفة والهناء ف:

- (تحلو المني فيه، وتسخو الوعود

ويزهو الحلم، ويزهو الوجود)<sup>(2)</sup>

- (نحقق الحلم الذي أوغلت

رؤاه في أعماق أعماقنا)<sup>(3)</sup>

والحلم الأول هو ما سبق بيانه، وأما الثاني هو تحويل الكلمة إلى تجربة معيشة، أن يعيش الإنسان الحب حقيقة كما عاشته هي. والرؤى هنا هي تعدد المرئي عندها بتوالي اللقاء والفراق وتوابعهما، ولا تعدد إلا بحب صادق يعيش الحياة بين شخصين !!!... ويعيشانه فيها !

وتحدثها نفسها بلقاء مستقبلي وتنسج قبله دواعي الرضى والقبول وتهدأ في ليلها المنزع، ويكون لقاءها معه أملا يتحقق في غد سيأتي حتما:

- (وما زلت أصغي، وأحلم أني

أطير إليك وأعلو

ودربي عبير وظل

ووطء حرير يرف

غدا نلتقي

ووسدت خدي ذراع الرضى

ونمت على حلم الزنبق)<sup>(4)</sup>

إنه لقاء محتوم، فيه نهايتها واجتماعهما معا، ولذلك جاء حبها حبا لا يروم الدنيا ولا زخرفها، وإنما حب يُجمع طرفاه في زمن ومكان غير مكان وزمان الأحياء... الحياة عندها في فنائها !.

<sup>1</sup> - الديوان، نسيان، ص 320.

<sup>2</sup> - الديوان، الكلمة والتجربة، ص 366.

<sup>3</sup> - الديوان، الكلمة والتجربة، ص 367.

<sup>4</sup> - الديوان، وقد حدثني ذات ليلة، ص 385 - 386.

وتدرك أن حبا كالذي تعيشه وتحيا تجربته لا يعرف في نفوس غيرها مكانا، فهي وعالمها بعيدان عن عالم الآخرين، الذين لا يرون في ذلك غير وقع الهزيمة والاستسلام، حب عاثر وأمل قاصر، وإحساس لا يُؤلِّد إلا الحسرة والندم. وتتكلم بألسنتهم لا اعتقادا وإنما غيظا من استسلامهم:

- (حكايبتنا لم تكن غير ظلّ

سريع الزوال

تفياهُ قلبي المتشرد في يوم صيف

وأغفى هنالك يحلم، يحضن في .

حلمه ألف طيف

(...) ولا طيف من حلمه في يديه<sup>(1)</sup>

لا يؤانسها إلا وحدتها ومرارة شعورها، وانحزامها بانتهاء حبّ الضعيفين، الذي سُلِّطت عليه ألوان الصراع التي سحقتهما<sup>(2)</sup>:

- (وهذي المرارة

بقلبي ترسو؛ بأعماق قلبي

تحدثني عن هزيمة حبي

وتحكي انكساره<sup>(3)</sup>)

- ( الهوى كان ملاذا وهروب

من ضياعي وضياعك<sup>(4)</sup>)

- (لم تك تملك شيئا ولا كان لدي

لك شيء

وتلاشى صوتنا<sup>(5)</sup>)

لقد خرّجت إلى عالم الناس بعد انغماسها في عالم لا يعرفه أحد سواها، وعاشت فيه حبا ليس كالحب، فأغلب أزمته هלוسة ووهم وحلم وأمل...

1 - الديوان، هزيمة، ص 387

2 - لقد عاشت صراعا مع الزمن، وصراعا مع نفسها، وصراعا مع الإنسان، ثم طغى عليها [صراع الإنسان مع الإنسان]، كما سيأتي في الفصل الخامس.

3 - الديوان، هزيمة، ص 390.

4 - الديوان، القصيدة الأخيرة، ص 403. في النص (هروب) بدل (هروبا) كما يقتضيه نحو الجملة.

5 - الديوان، القصيدة الأخيرة، ص 404.

- (الهوى كان لنبي ونعطي

خير ما فينا

لا ليفينا

انتبهنا يا رفيقي

حبنا كان استغاثات غريق بغريق<sup>(1)</sup>

وعلى هذا يفهم قولها:

- (واجتاحني فرح الغريق

حَصَنَّتْهُ شَطَّانُ النجاة)<sup>(2)</sup>

لأن النجاة في رؤياه والعيش معه، فلما انعدم اللقاء بينهما بفعل الفراق الأبدي صارا معا غريقين كما انتهت إليه في ((القصيدة الأخيرة))<sup>(3)</sup>، وهي آخر انفعالاتها في مجابهة الزمن.

لقد رُمي بالهوى إلى الماضي؛ إذ هي تنهياً لعيش حاضر جديد، بخروجها من الصراع مع الزمن والفناء، إلى صراع الإنسان، والقصيدة ((القصيدة الأخيرة)) هي آخر الجزء الرابع الذي يحوي وما قبله صراع الإنسان مع الزمن، فكان العنوان مطابقة للحقيقة.

إن حبها لأخيها عطاء قام لزمن طويل، غير أنه عطاء معطل، لا يجد له صدى إلا البكاء والوحشة حتى فنت وانتهت حياتها بفناء في الوجود، وهو الفناء دون الفناء، فجاءت كل منابر حبها لأخيها رثاءً له ممزوجاً بوقفتي اللقاء والفراق على امتداد زمن أفنى أحيبَّتْها على الحقيقة وأفناها معنويًا، حتى أدركت أنها نهاية حب لن يعرف الوجود إلا عندها وفي علمها؛ إذ هو عند الآخرين هزيمة وانكسار وضرب من الجنون والمبالغة.

ينبغي التأكيد على أن الوهم والحلم والأمل جميعاً حالات ترتبط في مواضعها بحديث اللقاء والفراق على هذا الترتيب أو على خلافه، دون نفي وجود خطابات على امتداد الديوان الكلي مبنية على الحقيقة في شكل ابتهالات ونجوى، كلها تقوم سندا على صحة هذا التأويل:

1. إن وجود إبراهيم في حياتها وجوداً دائماً روحاً لا جسداً، يلحُّ عليها ليلاً على وجه الخصوص:

- (ما أنت يا مَنْ في ظلال الليال

أحسه ملء حنايا الوجود في الأرض، في الأثير في اللاحدود

<sup>1</sup> - الديوان، القصيدة الأخيرة، ص 404.

<sup>2</sup> - الديوان، العودة، ص 195.

<sup>3</sup> - الديوان، ص 403.

في قلب قلبي في سماواتي  
في روح روحي، في مدى ذاتي  
هلا توضحت لآفاقي ؟ !  
هلا تجسدت لأشواقي ؟ !  
هلا ؟

ولكن كيف ؟

هيهات

فأنت مثل الغيب ما تنجلي يا لغز.. يا حقيقة كالخيال<sup>(1)</sup>  
2. تتساءل عن اللقاء معه، وتنفي كينونته على الحقيقة، ولا تخفي عيشها عليه أملاً:

- (هل نلتقي ؟ أو اه هذي أنا سوسنة فُتِحَ أكامها  
دفع الهوى والأمل المشرق  
تلوي بها الريح، وتبقى هنا تستودع السفوح أحلامها  
وأنت عطر مسكر يعبق

في دمها.. أو اه هذي أنا

وحدي هنا في السفح وحدي هنا !!<sup>(2)</sup>

3. وتحن إلى أخيها فتزور قبره وتناجيه في حرقة وألم:

- (آه يا قبر، هناك طاف روحي

هائماً حولك كالطير الذبيح

أَوْ ما أبصرته دامي الجروح)<sup>(3)</sup>

- (أين الغناء العذب يا طائري تسبق فيه كل شاد طروب

وأين أفراح الصبا الزاخر باللهو أم أين المراح الدؤوب

مالك تلقي نظرة الحائر يريد يستجلي خفايا الغيوب؟

وما الذي في قلبك الشاعر قل لي، فإن البث يشفي القلوب)<sup>(4)</sup>

- (هذا مكانك، كم أتيت إلى مكانك موهنا

<sup>1</sup> - الديوان، أنا وحدي مع الليل، ص 107. ولغز بدل لغزا !.

<sup>2</sup> - الديوان، في سفح عيبال، ص 119.

<sup>3</sup> - الديوان، على القبر، ص 123. ونص الخطاب كله بكائية ونجوى وتصوير على الحقيقة.

<sup>4</sup> - الديوان، الروض المستباح، ص 129.

تمضي بي الساعات لا أدري بها، وأنا هنا  
روح أصاخ لهتفة الذكرى، وللماضي رنا  
يتنسم الجو الحبيب، ويستعيد رؤى المنى<sup>(1)</sup>  
- (أنا لم أنس هوى فجر ألحاني وشعري  
أنا لم أنس هوى رفت به أيام عمري  
أنا أنسى؟ كيف؟ لا يا حلم قلبي، يا نجيب  
لا، ومن ألف روحينا على الحب النقي)<sup>(2)</sup>  
- (سموت بقلبي وروحي فراحا يفيضان بالشعر شعر الهوى  
ورفرف في القلب حلم سعيد جميل الخيالات حلو الرؤى<sup>(3)</sup>  
وقد كنت في وحشة لا أرى لي أليفا يبدد عني الأسي)<sup>(3)</sup>

- (فامض نحو الجسر الكبير مع الذكرى  
ورعشاتها العذاب الجميلة  
ستراني هناك أمشي إلى جنبك  
أنت استغراقتي وابتهالي  
وسنمضي معا إلى الضفة الأخرى.<sup>(4)</sup>  
بعيدا عن اصطخاب المدينة  
ليس إلا النجوى ووقع خطانا  
وطمأنينة تكلل روحينا وأمن.  
وراحة وسكينة)<sup>(4)</sup>

تتوقع أن يحن إليها فتلاقيه عند الجسر أملا، كما تلقاه هي أملا، وينعمان باللقاء خيالا  
وهياما !! ؟ !!.

1 - الديوان، في محراب الأشواق، ص 84-85.

2 - الديوان، الصدى الباكي، ص 78 - 79.

3 - الديوان، سمو، ص 81.

4 - الديوان، وانتظرنني، ص 182.

4. وتحاول أن تتخلى عن حنين الصباح رغم دعة الليل، فتنهار أمام عودته، وتصف الحادث معها - شعورا وإحساسا- على الحقيقة قيودا تحملها على الحياة:

- (وحنين تعود

يعود الوجود

يمد ذراعين مفتوحتين

إليّ، ويصبح قلبي خفيفا

يعني كطير سعيد)<sup>(1)</sup>

- (فقلبي قلب امرأة

من الشرق... يعشق حتى الفناء

ويؤمن في حبه بالقيود)<sup>(2)</sup>

- (وأطلَّ وجهك من بعيد

حلوا يرف على وجودي

ورأيت أحزاني تموت على تعانق راحتينا)<sup>(3)</sup>

ويجري التأويل على وقوع العودة تخيُّلا ورؤيا منام وما يصنعه ذلك من فضاء مفتوح على السعادة، فإذا أصبحت وتلاشى الأمل، ولم تبق إلا الذكرى، تحكي حالي الانقباض والغبطة معا على هذا الأساس، وهو أرجح احتمال عندي؛ لأن العودة لا تحصل على الحقيقة، وإلا كان الملفوظ الشعري اعتراضا على صحة التأويل بقيام احتمال غير الذي تم تعيينه، ولم يدرك.

ويقع اللقاء موقع الابتهاال والنجوى في ((تشك بحبي))<sup>(4)</sup>. وفي ((هو وهي))<sup>(5)</sup> إخبار عن الحال بالحقيقة في تعالق للشاعرة بالمصباح، وجرى بينهما حوار لقيامه مقام الدليل على صحة شعورها ومعاناتها. وفي ((إليه بعيدا))<sup>(6)</sup> إخبار بالحقيقة أيضا ثم تحوّل إلى الأمل في لقاء وعودة لا تعدو أن تكون إلا العودة الممكنة المرتبطة أساسا بالحلم، والحال ذاتها في ((يزورنا))<sup>(7)</sup>.

1 - الديوان، القيود الغالية، ص 216.

2 - الديوان، القيود الغالية، ص 217.

3 - الديوان، العودة، ص 195.

4 - الديوان، ص 218.

5 - الديوان، ص 266.

6 - الديوان، ص 335.

7 - الديوان، ص 344.

وفي ((يوم الثلوج))<sup>(1)</sup> مثير لاستجابة تقوم على أساس التداعي لزمن مضى فتحكيه، والتشابه زماني مناخي لا حدثي (أحداث).

وفي قولها:

- ذاك المساء

أسعى بأعمالي إلى شيء بعيد

أسعى إليه، أود لو ألقاه لكن .

لا أراه؟<sup>(2)</sup>

جمع بين الابتهاال وحلم اللقاء تماما كما هو حال ((غيران))<sup>(3)</sup> ((وَعُدَّ مِنْ هُنَاكَ))<sup>(4)</sup>.

- اعتراض:

يحمل خطاب ((تلك القصيدة))<sup>(5)</sup> محمولا دلاليا يخالف إلى حد ما محمول باقي الخطابات وإن كان ليس وحده<sup>(6)</sup>، ولكنه متفرد. يبدو لي أنها كتبت قصيدة حب، أعجب بها إبراهيم. فلما ماتت عرفت من ينبغي أن ينصرف إليه الحب، والحب في سواها عندها حماقة ووهم:

- (وتحضر ديوان شعري يداك

وتقرأ لي من قصيدة حب

كتبت سخافاتهما في سواك

وما كان حبا، ولكنه

حماقة شيء توهمته

وحين انجلي الوهم أبغضته

وأبغضتُ تلك القصيدة)<sup>(7)</sup>

وكان يؤكد لها جودة قصيدتها، وحسن تصويرها:

- (وتمضي بمكر لذيذ برئ

تؤكد لي أن أجمل شعري

1 - الديوان، ص 348.

2 - الديوان، ذاك المساء، ص 377.

3 - الديوان، ص 400.

4 - الديوان، ص 362.

5 - الديوان، ص 355.

6 - والخطابات المتبقية هي مجموع مواقف ومحطات، وسيأتي في ص 272 من هذا البحث.

7 - الديوان، تلك القصيدة، ص 352 - 353.

وألف شعري تلك القصيدة<sup>(1)</sup>

وتؤكد له رجاءها لو أنها عرفتة حقيقةً قبل ذلك الانفعال:

- (ألا ليتني يا هواي الحبيب

عرفتك من قبل تلك القصيدة)<sup>(2)</sup>

فمتى كان حديثها معه؟ ومتى أكَّدها جوده قصيدتها؟ وماذا تعني بلفظ: (عرفتك)<sup>(3)</sup>؟

يُحتمل أن يكون الحادث على الحقيقة وأخوها مازال حيا وأعجبته قصيدة حب في شخص ما. فلما مات أدركت أن لا أحد يستحق حبها غيره. إبراهيم، وبقي كلامه عن قصيدتها يتردد في أذنها ليشعرها بكثير الندم وسوء التقدير؛ ولذلك لم تُثبت قصيدتها هذه في أي جزء من ديوانها. وعلى هذا يكون لفظ: (عرفتك)، بمعنى أدركت أنك حي الأبد، الذي لا حب قبلك ولا بعدك.

ويُحتمل أن يكون لها انفعال في غير أخيها، وبرحيله تركته وانغمست في إبراهيم، وتمنت لو أنها عرفت حقيقة شعورها نحو أخيها قبل فراقه، وتترأى لها صورة أخيها وهي تجوِّد انفعالها رافئةً بها، وإخراجاً لها من حالتها، فيكون في الوضع صورتان؛ الأولى على الحقيقة، والثانية خيال ووهم، حيث يُحدِّثها ويُجالسها ويؤدي إعجابا بقصيدتها.

ويُحتمل أن يكون الوضع كله وهماً من خيالاتها، لا هي كتبت شيئاً في سواه، ولا هو أعجب به، ولا هي أبغضته أصلاً، وإنما تكون قد أدركت حبها له بعد وفاته ولم يعرف منها ولا من غيرها مدى حبها له، معتقدا اهتمامها بحياتها قبل وفاته، فكأنها تعاقب نفسها عن سكوتها وعدم البوح له بما تكنه له، فتتشفع بعدم معرفته بل عدم معرفة مكانته عندها إلا بعد وفاته، وما قالت فيه شعراً إلا حينذاك. وتكون القصيدة هي أولى ما كتب فيه رثاءً، إذ عندها أدركت من هو عندها!

وهذا اعتراض بسيط مقارنة بقولها:

- (وبغته، في لفته عابره

لقيته يملأ دربي سناه

لقيته، لم أدر من ساقه

إلي، من وجّه نحوي خطاه

1 - الديوان، تلك القصيدة، ص 354.

2 - الديوان، تلك القصيدة، ص 355.

3 - لا يحمل النص المرافق عنواناً كان أم تقديماً معرفة يمكن الاتكاء عليها في التأويل، حتى أن التقديم في ص 352، كان آخر ملفوظات القصيدة: (ألا ليتني يا هواي الحبيب عرفتك من قبل تلك القصيدة) كما في ص 355.

لقيته، لا حلما، إنما

حقيقة ساطعة باهرة

عانقت فيها حين عانقتها

الله والحب وسر الحياة<sup>(1)</sup>

كيف ومتى حدث لقاءها حقيقة؟ إن احتمال أن يكون اللقاء قبل وفاة أخيها مدفوع مردود بنص الاعتراض السابق، واحتمال اللقاء بعد وفاته غير معقول، فكيف الصرف؟ وما المراد؟ أرَّح أن الشاعرة بنزعة وجودية، كانت مهمومةً بالموت والفناء، فبحثت في كينونة الظاهرة، وهي تعلم وجوده سرا من أسرار الوجود ولذلك تقول في نفس القصيدة:

- (ولم أزل أبحث عنه سدى

في ألف وجه من وجوه الحياة

في الليل، في الإعصار، في الأنجم

وهو يناديني وينأى مداه)<sup>(2)</sup>

فلما فقدت أحاها وغاب عن عالم الشهادة، وتراءى لها في الأحلام، جدَّ بحثها وأفنت ليالي عمرها تبحث عن سرِّ الفراق، وكيف يجد الحبيب سبيلاً للقاء الحبيب الفاني؟ وأدركت - حقيقةً لا حلماً - أن لقاءها به يكون عندما تفارق هي الحياة! وترتقي إليه وتدنو منه وتنعم بلقاه!. فيكون السر إدراك علة الفناء، لا لقاء أخيها، الذي ما حدث بعد فراقه إلا في المنام حلما، وسيكون. أي اللقاء. حقيقة بفنائها، عندها فقط تعانق الحب وسر الحياة. وسر الحياة هنا هو الفناء؛ إذ به تشعر بالنشوى والغبطة واجتماعها بأخيها فيه وبعده، حيث تكون الحياة حياةً به ومعه. إبراهيم.، لا من دونه ومع سواه!

وتسيطر عليها هذه الرغبة في الفناء، حتى بدت حياتها ضرباً من ضروب الفناء، لم يحدث على الحقيقة فتلاقي أحاها حقيقة، وإنما حدث وهما وحلما وخيالا فتراءى لها أنها لاقته مرات ومرات كما سبقت الإشارة إليه، فقط هناك كان اللقاء وكان الفراق وكان تداعي الصور قبلهما وبعدهما وفيما بينهما على محك الرؤيا والمنام. وفيما سيأتي يكون الوضع على الحقيقة المعيشة وسوء التأقلم

<sup>1</sup> - الديوان، أنا والسر الضائع، ص 230. ومحمول المقطع هو عينه محمول مقاطع اللقاء في نص: من الأعماق، ص 65، من الديوان.

<sup>2</sup> - الديوان، أنا والسر الضائع، ص 228.

مع الحياة، فكان الواقع حلماً، وسيكون واقعا، لينتهي التأويل في شقه الأول<sup>(1)</sup> حيث ابتدأ انفعال الشاعرة، وبالمعنى المحصّل آنفا يتوجه التأويل في تقليب فكرة الفناء<sup>(2)</sup> عند الشاعرة.

---

<sup>1</sup> - الشق الأول، صراع الإنسان مع الزمن، والثاني صراع الإنسان مع الإنسان وسيأتي في الفصل الخامس.  
<sup>2</sup> - الفناء موجود في كل القصائد الحاملة للقاء والفراق، وأفردت له بداية ديوانها فيما سبق قصيدة (من الأعماق).